

# من أورشليم إلى بابل



## السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: ٢ملوك ٢١: ١٠-١٦؛ دانيال ١: غلاطية ٢: ١٩، ٢٠؛ إنجيل متى ١٦: ٢٤-٢٦؛ ٢كورنثوس ٤: ١٧؛ يعقوب ١: ٥.

**آية الحفظ:** «أما هؤلاء الفتيان الأربعة فأعطاهم الله معرفة وعقلًا في كل كتابة وحكمة، وكان دانيال فهميًا بكل الرؤى والأحلام» (دانيال ١: ١٧).

لا يتحفظ الكتاب المقدس من إظهار ضعفات الجنس البشري الساقط. فبدءًا من سفر التكوين الأصحاح ٣ وما بعد، يتم عرض خطيئة الإنسان ونتائجها المُحزنة بشكل بارز. في نفس الوقت، نرى أيضًا حالات لبعض أولئك الذين أظهرُوا أمانة عظيمة لله، حتى عندما واجهتهم محفزات قوية قد تجعلهم أبعد ما يكونون عن الأمانة. وبعض أكثر الأمثلة إثارة لأمانة كهذه تُرى في سفر دانيال.

مع ذلك، إذ ندرس سفر دانيال، دعونا نتذكَّر أنَّ الله هو المحور الرئيسي لسفر دانيال. لقد اعتدنا كثيرًا على قصص تُركِّز على أمانة دانيال ورفاقه إلى درجة قد تُنسبنا أن نُمجِّد ونُعظِّم أمانة الذي قاد وأرشد ودعم أولئك الشباب الأربعة وهم يُجابهون قوَّة وإغواءات الإمبراطورية البابلية. إنَّ الأمانة في الوطن الأم هو أمرٌ كافي بحدِّ ذاته، ناهيك عن مواجهة الضغوط في بلادٍ غريبة، وثقافة وديانة غريبة. ولكن الأبطال البشريين في سفر دانيال يواجهون التَّحدِّي لأنهم، كما قال الرسول بولس: «عالمٌ (عالمون) يَمَن آمنتم (آمنوا)» (٢تيموثاوس ١: ١٢)، وبه يثقون.

\* نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ١١ كانون الثاني (يناير).

## سيادة الله وسلطانه

للهولة الأولى، يبدأ سفر دانيال بنبرة حزينة عن هزيمة. استسلمت يهوذا لِنَبُوخَدْنَصَّرَ وأخذت آنية الهيكل من أورشليم إلى أرض شنعار. تَظْهَرُ كلمة شنعار في الكِتَابِ الْمُقَدَّسِ في تكوين ١١: ٢ على أنها موقع برج بابل. إِنَّ شِنَعَارَ هي علامة مشؤومة، إذ أنها تُشير إلى مشروع مُتَجَدِّدٍ في التَّحَدِّيِّ الصريح لله. ولكن حتى إذا أخفق بُناة بابل في محاولتهم الوصول إلى السماء، فالمظهر الخارجي يفترض أنَّ نَبُوخَدْنَصَّرَ وأهله - الموجودة في أرض شنعار - قد قهروا الله - إله عهد إسرائيل. مع ذلك، فالأسطر الافتتاحية لسفر دانيال توضح أنَّ هزيمة أورشليم لا تُحسب لصالح تفوق قوة ملك بابل؛ بل بالأحرى، أنها حصلت لأنَّ الرَّبَّ: «سَلِّمْ... بِيَدِهِ يَهُوَيَاقِيمَ ملك يهوذا» إلى نَبُوخَدْنَصَّرَ (دانيال ١: ٢). قبل ذلك بكثير، أعلن الله أنه إذا نسيه شعبه وكسروا العهد، فسوف يُرسلهم كمسيبين إلى بلاد غريبة. لذلك، يعرف دانيال أن وراء قوة بابل العسكرية، ومن جانب آخر، يد إله السماء تقود مسيرة التاريخ. إنَّها النظرة الواضحة لسلطان الله التي دعمت هؤلاء الشباب ومنحتهم القوة والشجاعة لمواجهة التجارب والظغوط من قِبل الإمبراطورية البابلية.

اقرأ ٢ ملوك ٢١: ١٠-١٦؛ ٢ ملوك ٢٤: ١٨-٢٠؛ وإرميا ٣: ١٣. لماذا يُسَلِّمُ الله يهوذا وأورشليم إلى يد البابليين؟

إذ نواجه تحديات القرن الحادي والعشرين، نحن بحاجة لاسترداد إدراكنا لله الذي يُعكِّس بكل وضوح في سفر دانيال. فبحسب هذا السفر، فإنَّ الله الذي نعبد لا يدفع ويُحرِّك فقط قوى التاريخ بواسطة سلطته وسلطانه، ولكنه أيضًا يتدخَّل بكل رحمة في حياة شعبه ليمدِّهم بالعون الضروري في أوقات الحاجة. وكما سنرى لاحقًا، فما فعله الله للمسيبين العبرانيين سيفعله لشعبه في نهاية الزمن، بغضَّ النظر عن الهجمات المتنوعة عليهم وعلى إيمانهم.

ما هي بعض التَّحَدِّيَّات التي يواجهها إيمانك الآن، سواء كان ذلك من مصادر خارجية، أو من داخل الكنيسة، أو من جرَّاء نقائص أخلاقية تُعاني منها؟ كيف يمكنك أن تتعلَّم الاستناد على قوَّة الله لتُساعدك في التَّغَلُّبِ على كل ما يعترضك ويقف أمامك؟

## إيمان تحت الضغوط

اقرأ دانيال ١. ما هي الضغوط التي وُضعت على هؤلاء الشباب ليتجاوبوا معها؟

عند وصولهم إلى بابل، كان على هؤلاء الشباب الأربعة أن يواجهوا أكثر تحدّ جدّي لإيمانهم وقناعاتهم: لقد تمّ اختياريهم ليجتازوا تدريجاً خاصاً لكي يخدموا الملك. غالباً ما كان الملوك القُدماء يُجنّدون بعض أفضل أسراهم ليخدموا في القصر الملكي، وبذلك، يغيّرون ولاءهم إلى الملك وألهة الإمبراطورية التي أسرتهم. في الحقيقة، كان المقصود من مُجمل هذه العملية أن تُحدِث نوعاً من التأثير والتبديل والتلقين الذي سينتج عنه تغيير في النظرة العالمية. وكجزء من هذا الإجراء، كان يتم تغيير أسماء العبرانيين المسيبيين. إنّ الاسم الجديد يُشير إلى تغيير المُلكية وتغيير المصير. وهكذا، فبتغيير اسماء المسيبيين، قَصَدَ البابليون فرض السُلطة عليهم وإجبارهم على استيعاب قيم وثقافة بابل. إنّ أسماءهم الأصلية، التي تُشير إلى إله إسرائيل، تُستبدل بأسماء تُكرم آلهة غريبة. بالإضافة إلى ذلك، يُصرّ الملك على أن يتناول الشباب الطعام من مائدته. الأكل من طعام الملك كان له آثاراً عميقة في العصور القديمة. فقد كان يعني ولاءً كاملاً لا يتجزأ للملك كما أنّه يعكس الاعتماد عليه. وإذا كان الطعام عادة ما يُقدّم إلى إله أو آلهة الإمبراطورية، فتناول الطعام كان له معنىً دينياً عميقاً. من الواضح أنّه كان يعني القبول والمشاركة في نظام عبادة الملك.

هكذا، وجد دانيال ورفاقه أنفسهم في ظروف صعبة. بالنسبة لهم كان بقاؤهم على ولائهم لله والنجاة من القوّة الساحقة لنظام الإمبراطورية لا يتطلّب شيئاً إلا مُعجزة. ولتعقيد الأمور أكثر، كانت مدينة بابل نفسها تقف أيضاً كنُصب تذكاري ضخم للإنجاز البشري. إن الجمال الهندسي للمعابد البابلية، والحدائق المُعلّقة، ونهر الفُرات بانعطافاته عبر المدينة أعطت صورة لا نظير لها لقوّتها ومجدها. وهكذا، مُنحت لدانيال ورفاقه إمكانية للارتقاء وفرصة للتمنّع بمنافع وازدهار هذا النظام. يمكنهم أن يتوقّفوا عن كونهم أسرى عبرانيين ليصبحوا ضباطاً ملكيين. هل سيُسامون على مبادئهم ويسلكوا في السبيل السهل إلى المجد؟

بأية طرق كان يُمكن لهؤلاء الشبّان أن يسوغوا (يُبرّروا) قراراً للمساومة على قناعاتهم؟ بأية طرق يمكن أن تكون أنت الآن تواجه تحدّيات مماثلة، إذا لم تكن أكثر خداعاً ومكرّاً؟

## قرار حازم

اقرأ دانيال ١: ٧-٢٠. نجد عاملين يعملان هنا: إرادة دانيال الحرّة وتدخّل الله. أي مبدأ هام نجده هنا أيضًا؟

يبدو أنّ الأسرى العبرانيين الأربعة لم يعترضوا على أسمائهم البابلية. من المحتمل أنه لم يكن من شيء يستطيعون فعله، بخلاف استعمال أسمائهم العبرانية فيما بينهم. ولكن فيما يختص بالطعام والخمر من مائدة الملك، فمن المؤكّد أنه كان في مقدورهم تناوله أو عدم تناوله. وهكذا، فقد كانت حرّية اختيار هؤلاء الرجال الأربعة مهمّة جدًّا هنا.

ولكن، إذا كان بإمكان ضابط تغيير أسمائهم، فيمكنه أيضًا تغيير قائمة الطعام. هنالك سببان مُحتملان لماذا لم يرغب هؤلاء الأربعة أن يتناولوا من مائدة الملك. أولاً، وجبات الطعام على مائدة الملك قد تحتوي على لحوم نجسة (لاويين ١١). ثانيًا، يُقدّم الطعام أولاً كوجبة لتمثال أو صور الإله ثم يُرسل إلى الملك ليتم تناوله واستهلاكه. ولذلك، عندما يوجّه دانيال بجلاء، دون اللجوء إلى الاحتيال أو الخديعة، بأنّ طلبه له حيثيات دينية، أي أنّ الطعام في القصر سيدنّسه وأصدقائه (دانيال ١: ٨)، فهو يتصرّف بشجاعة شديدة.

إذ ننظر إلى التفاعل الدائر بين دانيال والضابط البابلي، تبرز عدّة نقاط هامّة. أولاً، يبدو أنّ دانيال يفهم جيّدًا الموقف الصعب للضابط، لهذا يقترح عليه تجربة أو اختبارًا. عشرة أيّام لتناول وجبات بديلة يجب أن تكون كافية لتُظهر فوائد نظام التغذية وبذلك تَبْطُل مخاوف الضابط. ثانيًا، إنّ يقين دانيال بأنّ الحصيلة ستكون إيجابية جدًّا خلال تلك الفترة القصيرة من الزمن تنبع من الثّقة المُطلقة في الله. ثالثًا، إنّ اختيار نظام غذاء قائم على الخضروات والماء يُشير إلى الماضي إلى الطعام الذي أعطاه الله للبشرية عند الخليقة (انظر تكوين ١: ٢٩)، حقيقة ربما تكون قد أثّرت على اختيار دانيال أيضًا. على أي حال، أي نظام غذائي يمكن أن يكون أفضل من الذي أعطاه الله لنا في البدء؟

ما هي الأهميّة الكامنة في الاختيار الحر لدانيال الذي يفتح الطريق أمام الله ليعمل بهذا الشكل (انظر دانيال ١: ٩)؟ أية دروس يمكننا استخلاصها من هذا حول أهمية اختياراتنا؟ كيف يمكن لثقتنا في الله أن تؤثر على اختياراتنا؟

## لا عيب فيهم وحكماء

تمَّ اختيار دانيال ورفاقه للخدمة الملكية لأنهم كانوا مُتلائمين مع المواصفات التي وضعها نَبُوخَدْنَصَّر. فوفقًا للملك، كان على ضُبَّاط القصر أن يكونوا «لا عيب فيهم»، «حسان المنظر» (دانيال ١: ٤). المُثير للاهتمام، كانت الذبائح والأشخاص الذين يخدمون في الهيكل أن يكونوا «بلا عيب» (لاويين ٢٢: ١٧-٢٥؛ لاويين ٢١: ١٦-٢٤). يبدو بأنَّ الملك البابلي كان يُقارن نفسه بإله إسرائيل بقدر ما كان يطلبه من مؤهلات مماثلة في أولئك الذين يخدمون في قصره. من ناحية أخرى، مؤهلات كهذه كان يمكن دون قصد أن تفترض بأنَّ دانيال ورفاقه كانوا ذبائح حيَّة لله إذ كانوا يواجهون تحدّيات الإمبراطورية البابلية.

اقرأ غلاطية ٢: ١٩، ٢٠؛ إنجيل متى ١٦: ٢٤-٢٦؛ ٢ كورنثوس ٤: ١٧. ماذا تُخبرنا هذه الآيات حول كيف يمكننا أن نبقي أمناء وسط أي تجارب نواجهها؟

الله يُكرم ولاء الأسرى العبرانيين الأربعة، وفي نهاية فترة أيام اختبارهم العشرة كان مظهرهم أكثر صحَّة وأكثر حيوية من بقيَّة الطلاب الذين أكلوا من المائدة الملكية. وهكذا، أعطى الله خدَّامه الأربعة: «معرفة وعقلًا في كل كتابة وحكمة» ودانيال وحده جعله الله «فهميًا بكل الرؤى والأحلام» (دانيال ١: ١٧). هذه الموهبة ستلعب دورًا هامًا في خدمة دانيال النبوية.

تمامًا مثلما يُكْرِم الله إيمان عبيده في القصر البابلي، فهو يُعطينا الحكمة إذ نواجه تحدّيات العالم. يمكننا أن نتعلَّم، من اختبار دانيال ورفاقه، أنَّه من الممكن بالفعل أن نبقي غير مُلوَّثين من العناصر الفاسدة في مجتمعاتنا. نتعلَّم أيضًا أنه لا يتوجَّب علينا أن نفصل أنفسنا عن المجتمع وعن ثقافة الحياة لكي نخدم الله. فدانيال ورفاقه لم يعيشوا فقط وسط حضارة وثقافة شُيِّدت على الأكاذيب والأخطاء والخرافات، بل لُقِّنوا وتمَّ تعليمهم هذه الأكاذيب والأخطاء والخرافات. ومع ذلك، ظلوا أمناء لله.

بغضِّ النظر عن المكان الذي نعيش فيه، نحن نُواجه تحدّي البقاء أمناء لما نُؤمن به وسط تأثيرات حضارية وثقافية واجتماعية تناقض ذلك الإيمان. حدِّد الآثار السلبية في حضارتك وثقافتك الخاصة، واسأل نفسك: ما مدى نجاحي في مقاومتها؟

## الامتحان الأخير

اقرأ دانيال ١: ١٧-٢١. ما هو السبب الرئيسي أو المفتاح لنجاح الرجال الأربعة؟  
(انظر أيضًا أيوب ٣٨: ٣٦؛ أمثال ٢: ٦؛ يعقوب ١: ٥).

عقب ثلاث سنوات من التدريب في «الجامعة البابلية»، تمّ إحضار العبرانيين الأربعة أمام الملك للاختبار الأخير. هم ليسوا أكثر صحة من باقي الطلاب فقط، بل أنهم يتفوقون عليهم بالمعرفة والحكمة. تمّ تعيين الأربعة في الحال لخدمة الملك. علينا ألا ننس أن هذه «المعرفة والحكمة» تحتوي بلا شك على الكثير من الوثنية. ومع ذلك فقد تعلّموها على أيّ حال، ويبدو أنّهم تعلّموها جيّدًا أيضًا، حتى وإن لم يؤمنوا بها.

قد يعتقد بَنُوخَدَنَصَّر أنّ إنجازاً كهذا كان له علاقة بالنظام الغذائي في القصر والبرنامج التدريبي الذي خضع له الطلاب الأربعة. لكنّ دانيال ورفاقه يعرفون، كما يُظهر سرد الأحداث بجلاء، أنّ أداءهم المُتفوّق لا يدين بشيء إلى النظام البابلي. فكل شيء يأتي من الله. يا له من مثالٍ قوي عمّا يُمكن أن يفعله الله للذين يثقون به. علينا ألا نهاب القوة الكاسحة لسطوة وسائل الإعلام، أو الحكومات، أو المؤسسات الأخرى التي قد تُهدّد بتدمير هويتنا كأبناء الله. وإذ نضع ثقتنا في الله، يمكننا أن نتأكّد بأنّه قادر على أن يعولنا في اللحظات الصعبة وقادر أن يحفظنا ضد كل الشرور. إنّ السر أو المفتاح هو أن نتخذ الاختيار الصحيح عندما تُجابهنا التّحدّيات فيما يتعلّق بإيماننا. إذ ننظر إلى الأصحاح ١ من سفر دانيال، نتعلّم بعض الدروس الهامّة جدًّا عن الله: (١) الله يُسيطر على التاريخ. (٢) الله يهب الحكمة حتى يمكننا أن نتنقّل ونجتاز المُحيط العدائي في حضارتنا ومجتمعنا. (٣) يُكرم الله أولئك الذين يثقون به من خلال قناعاتهم الداخلية وأسلوب حياتهم.

يُختتم الأصحاح بالإشارة إلى أنّ دانيال استمر إلى «السنة الأولى لكورش الملك» (دانيال ١: ٢١). إنّ ذِكر كورش هنا له أهمية خاصّة: إنه يُقدّم لمحة من الأمل والرّجاء وسط اختبار النّفي. كورش هو المُختار من الله ليحرّر شعبه ويسمح لهم بالعودة إلى أورشليم. مع أنّ الأصحاح يبدأ بمظهر الهزيمة والنفي، إلا أنّهُ يُختّم بلمحة من الرجاء والعودة إلى الوطن. هذا هو إلها: حتى وسط أقسى اللحظات صعوبة في حياتنا، دائماً يفتح لنا نافذة رجاء حتى نتمكّن من أن نرى المجد والفرح اللذين يكمنان وراء المُعاناة والألم.

**لمزيد من الدرس:** «إنَّ دانيال ورفاقه وهم في بابل، كان يبدو أنَّ الحظ يحالفهم في شبابهم وكان يبدو أنَّهم أسعد حظًا من يوسف في سني حياته الأولى في مصر، ولكنهم مع ذلك تعرَّضوا لامتحانات لا تقل قسوة عما تعرَّض هو له. فلقد نقل هؤلاء الشبان الذين كانوا من النسل الملكي من البساطة النسبية في وطنهم اليهودي إلى أعظم المدن وإلى بلاط أعظم ملوكها، وقد أفرزوا ليتدرَّبوا على أن يكونوا خُدَّام الملك الخصوصيين. وكانت التجارب التي أحاطت بهم في ذلك البلاط الفاسد المُترَف قوية وشديدة. إنَّ حقيقة كونهم وهم عبدة الرب، قد سبوا إلى بابل، وأن آنية بيت الله وضعت في هيكل آلهة بابل، وأنَّ ملك إسرائيل كان هو نفسه أسيرًا بين أيدي البابليين، جعلت المنتصرين يتناقلون تلك الأخبار متفاخرين كدليل على أنَّ دينهم وعوائدهم أسمى من دين العبرانيين وعوائدهم. ففي مثل تلك الظروف وعن طريق نفس الإهانات التي أوجبها ارتداد العبرانيين عن وصايا الله، قدم الله البرهان لبابل على سلطانه المُطلق وعلى قداسة مطالبه وعلى النتيجة الحتمية للطاعة. وقد قدَّم هو هذه الشهادة على أنَّها هي وحدها التي يمكن تقديمها عن طريق أولئك الذين ظلوا ثابتين على ولائهم» (روح النبوة، من كتاب «التربية الحقيقية»، صفحة ٦٣).

### أسئلة للنقاش

١. في الصف، تكلم عن التحدّيات الثقافية والاجتماعية المُختلفة التي تواجهها أنت كمسيحي في مجتمعك. ما هي، وكيف يمكن للكنيسة ككل أن تتعلَّم كيفية الاستجابة لها؟
٢. فكّر في كيف كان من السهل لدانيال والآخرين أن يُساوموا على إيمانهم. على أي حال، كان البابليون هم المنتصرون. لقد انهزمت الأمة اليهودية. أي «برهان» أكثر كان يلزم لإثبات أنَّ «آلهة» البابليين كانت أعظم من إله إسرائيل، ولهذا كان على دانيال ورفاقه أن يقبلوا هذه الحقيقة؟ في هذه الحالة، أية حقائق مهمة من الكتاب المُقدَّس ربما كانوا يتمسَّكون بها ساعدتهم وحفظتهم آمناء خلال ذلك الوقت؟ (انظر إرميا ٥: ١٩؛ إرميا ٧: ٢٢-٣٤). ماذا يجب أن يُخبرنا هذا عن مدى أهمية معرفتنا للكتاب المقدس وفهمنا لـ«الحق الحاضر»؟
٣. لماذا تُعتبر الأمانة بهذه الأهمية، ليس فقط لأنفسنا ولكن لأولئك الذين تشهد لهم أمانتنا عن صفات الرب، الذي نسعى لخدمته؟